بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 19 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:21\12\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الحديث في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾.

المحطة الثالثة: ترتبط بالفعل ﴿كانَ﴾.

والوجه في توقف بعض المفسرين على هذا الفعل يرجع إلى أحد أمرين:

أولاً: هذا الثواب والجزاء هو شيء وعد به الأبرار في نشأة مغايرة لهذه النشأة، فإذاً هو لم يحصل بعد، فكيف تعبر بكان.

ثانياً: مع قطع النظر عن دلالة الفعل على الزمان لا نحتاج إلى هذه اللفظة ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾ بقطع النظر أنه يدل على الزمان الماضي، لا نحتاج إليه.

هذا هو وجه توقف بعض علماء التفسير عند هذا الفعل، في مقام الإجابة عن الشبهة ذكر وجهان:

الوجه الأول: أسهل ما يمكن أن يقال بأن كان زائدة، وزيادة الكلمات في اللغة العربية أمر شائع.

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججنا الحواجب والعيونا

ما زائدة فيمكن القول إذا الغانيات.

فكان هنا يلتزمون بكونها زائدة وتنحل أصل الشبهة.

الوجه الثاني: أن كان أصيلة وليست زائدة، وللدلالة على الزمن الماضي أيضاً، لكن المتصف بكينونته في الزمن الماضي ليس هو هذا الفعل، الذي هو تنعم الأبرار، كي يأتي الإشكال بأن هذا لم يحصل بعد، وإنما المتصف بالكينونة في الزمن الماضي هو كون هذا التنعم في علم الله، وهذا باعتباره موجوداً منذ الأزل يصح أن تعبر عنه بلفظ الماضي.

أما الجواب الأول لا شك أنه نسلم أن بعض الكلمات في اللغة العربية تأتي زائدة، لكن الزيادة ليست بدون حساب، والقرآن الكريم ليس شعراً كي نحتاج فيه في بعض الأحيان إلى زيادة شيء لتتميم الوزن، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى الغالب في الزيادات أن تكون في الحروف والأدوات، لا في الأفعال حتى الأفعال الناقصة، كقوله تعالى: ﴿ما تَرى في خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُور﴾[1] أصلها ما ترى في خلق الرحمن تفاوتاً؛ لأن ترى تتعدى بنفسها ولا تحتاج إلى حرف جر، فارجع البصر هل ترى فطوراً، لكن هذه الزيادة ليست بمعنى أنه لا أثر لها كلياً، هذه الزيادة تفيد شيء من التأكيد.

وكقوله تبارك وتعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[2] الباء زائدة، لكن لها معنى، ولذا عندما سئل الإمام الباقر عليه السلام كيف عرفت أنه نمسح بعض الرأس، قال لمكان الباء. فهي زائدة أو بالتعبير النحوي الدقيق هي حرف جر شبيه بالزائد؛ لأنه يؤثر لفظاً ومعنى، فمثل هذه الزيادات تقبل.

أما إقحام فعل في الجملة وندعي زيادته، بمعنى أن وجوده كعدمه لا أثر له، فهذه الزيادة لابد لها من تبرير.

إذاً الوجه الأول بهذه الطريقة التي بُين فيها لا نقبله. نعم يمكن أن يضاف إلى ذلك هذا البيان الجديد.

الآية الشريفة قالت ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ﴾ عبرت بالفعل المضارع ﴿مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾ هل التعبير بالفعل المضارع في مورد لم يتحقق لأجل إرادة تحقيق الوقوع، ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْض﴾[3] لم ينفخ بعد ولم يفزع أحد بعد.

فالتعبير بالفعل الماضي لبيان وتصوير أن هذا الشيء محقق الوقوع، ففي عملية التنعم عبر بالفعل المضارع ﴿يَشْرَبُونَ﴾ للدلالة على تجدد هذه النعمة آناً فآناً.

في مسألة توصيف هذا الشراب الموجود في الكأس عبر عنه بتعبير مفروغ الوجود، فهذه ﴿كانَ﴾ لها هذه الفائدة، سواء جعلتها زائدة يكون لها هذه الفائدة أم جعلتها أصلية يكون لها هذه الفائدة.

---

[1] الملك: 3
[2] المائدة: 6
[3] النمل: 87

فإذاً هذا هو الصحيح في مقاربة التعبير بـ﴿كانَ﴾.

خلاصة المطلب: أن الله تبارك وتعالى في مقام وعده للطائفة الأولى اختار صنفاً خاصاً، وهم الأبرار، فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ﴾ وهذا الصنف الخاص الذي هو أعلى مرتبة إنما اختاره الباري تبارك لمزيد التشويق والحث.

والنعمة التي ابتدأت بها هذه الآية في سياق نعم سوف تأتي، وفي سياق سوف يأتي؛ لأجل التناسب بين هذه النعمة وبين مشهدية ما أعده الله سبحانه وتعالى للكافرين -كما بينت في البحث السابق- والذي يؤكد ما ذكرته أن المحادثة التي تُجرى ويحكيها القرآن بأنها تجري بين الكفار والمؤمنين بمجرد أن يدخلوا النار هي أنهم يطلبون منهم الماء البارد قوله تعالى: ﴿وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ﴾[4] فهذا التناسب مع ما أعده الله للكافرين اقتضى أن يبتدأ الوعد الإلهي للأبرار بهذه النعمة.

النعمة هي أنهم يشربون من كأس كان خليطها كافورا، هذا الخليط السائل الخمري الذي يوجد في الكأس وبين الكافور، قلنا: إما هو كافور الدنيا مع سلب بعض خصائصه المنفرة بأن يكون كافور الآخرة مغايراً لكافور الدنيا كما يغاير شراب الآخرة شراب الدنيا، وإما أن تكون كافور اسم لنهر في الجنة، ولنا عودة إلى هذا المطلب في الآية الأخرى إن شاء الله.

الآية السادسة: قال تبارك وتعالى ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجيرا﴾.

تصدرت هذه الآية المباركة بكلمة عين منصوبة ﴿عَيْناً﴾ هذه المفردة المنصوبة لفتت نظر المفسرين وعلماء الأدب والنحو، ما هو الوجه في نصب هذه الكلمة، فذكرت وجوه متعددة، ومن جملتها:

الوجه الأول: أن كلمة ﴿عَيْناً﴾ بدل من كافورا ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا (5) عَيْناً﴾ أي يشربون كأساً كان مزاجها عيناً.

بناء على هذا الوجه يمكن أن يقبل أن الكافورا هو اسم عين في الجنة.

---

[4] الأعراف: 50

الوجه الثاني: أن نحافظ على إعراب البدلية، لكن ليس من كافورا، وإنما هي بدل من محل من كأس إن الأبرار يشربون كأساً، فشرب تتعدى بنفسها، فمن زائدة للدلالة على التبعيض أو للتأكيد أو أي شيء آخر. وتكون عين بدل من محل من كأس، محلها مفعول به، فهي بدل منها، إن الأبرار يشربون عيناً.

لكن الإشكال في هذا الوجه الثاني يكمن في الالتزام بزيادة ﴿من﴾ فإن من بحسب قواعد النحو تزاد في موضعين لا غير:

الموضع الأول: بعد الاستفهام.

الموضع الثاني: بعد النفي.

ولا تزاد من في الإثبات الخبري، فقط تزاد في الاستفهام ﴿هَلْ تَرى مِنْ فُطُور﴾[5] وتزاد في النفي ﴿ما تَرى في خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾.

أما زيادة من في حيز الإثبات الخبري ليس أمراً متعارفاً في قواعد اللغة وليس عليه شاهد في شعر العرب. وهو بناء على هذا الواجب جعل من زائدة. وإن كانت بحسب المعنى ممكناً.

الوجه الثالث: كأن الصاحب وجه الثالث التفت إلى هذا الإشكال، وإن لم يصرح به، فقال: ﴿من﴾ ليست زائدة و﴿عَيْناً﴾ تكون منصوبة على نزع الخافض، أي أصلها من عين، فحذفنا من صارت عيناً، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، وهذا المزيج والخليط من عين.

فإذاً حينئذ تنحل مشكلة زيادة ﴿من﴾ في غير الموارد التي ذكرها النحاة.

---

[5] الملك: 3